المحاضرة الثالثة

مؤسس الدولة العباسية – أبو العباس السفاح

أولاً: مؤسس الدولة العباسية – أبو العباس السفاح

هو عبد الله بن محمد بن علي العباسي، ولد بالحميمة سنة 105هـ/723م.

تولى الإمامة من طرف أخيه إبراهيم وذلك بعد أن اكتشف أمره.

بويع بالخلافة في مسجد الكوفة في يوم الجمعة 12 ربيع الأول 132هـ/تشرين الأول 750م.

وألقى خطبته الشهيرة التي أبرز فيها سياسة الدولة، وختمها بمقولته الشهيرة: "أنا السفاح المبيح والثائر المبير".

ثانياً: توطيد أبو العباس لأركان الدولة

بويع أبو العباس بالخلافة ولم تكن مهمته سهلة، فمركزه لا يزال ضعيفاً في الكوفة، وهو لا يثق في وزيره أبا سلمة الخلال. والخليفة الأموي مروان وجيوشه لا زالوا يسيطرون على الشام، وابن هبيرة مع قواته لا زال يرابط في مدينة واسط. ولكن السفاح أظهر مقدرة فائقة لوضع أسس الدولة الفتية.

تثبيت أقدام أسرته في الحكم

- اهتم بتثبيت أقدام العباسيين في الحكم، وعمل على نقل السلطة تدريجياً من الدعاة إلى أفراد أسرته.
- عيّن عمه سليمان بن علي والياً على البصرة وأعمالها.

- عيّن عمه إسماعيل بن علي على كور الأهواز.
- عيّن عمه داود على الحجاز واليمن.
- عيّن عمه عبد الله على الجيش الذاهب لمحاربة الخليفة مروان.
- نصّب أخاه أبا جعفر المنصور لقتال يزيد بن هبيرة في واسط.

معركة الزاب والتخلص من مروان بن محمد وابن هبيرة

في 11 جمادى 132هـ/ 25 كانون الثاني 750م، التقى جيش عبد الله بن علي مع جيش الخليفة مروان على نهر الزاب، ودارت بينهما معركة حامية الوطيس، انتهت بانتصار العباسيين وانهزام الأمويين. ظل مروان هارباً بين الجزيرة والشام ومصر إلى أن قُتل في 27 ذي القعدة 132هـ في قرية بوصير.

أما في الجنوب فقد كان الحسن بن قحطبة يحاصر ابن هبيرة في واسط، وأرسل أبو العباس أخاه أبا جعفر المنصور للإشراف على الحصار الذي دام 11 شهراً. ولما علم ابن هبيرة بمقتل الخليفة مروان طالب الصلح، وسلّم نفسه للمنصور ولكن هذا الأخير قتله بعد أن أعطاه العهود.

التخلص من أبا سلمة الخلال

بعد أن قضى أبو العباس السفاح على الحركات المناهضة لحكمه، اتهم أبا سلمة الخلال بالعمل على تحويل الخلافة من العباسيين إلى العلويين، فتخلص منه بتوجيه أبو مسلم الخراساني لقتله في رجب 132هـ/750م. ولم يبقَ من ينافسه في السلطة سوى أبا مسلم الخراساني.

ثالثاً: تنظيم أركان الدولة

كان الخليفة مقيماً بالكوفة، ولكنه لم يطمئن إلى أهلها الشيعة المناهضين له، فانتقل إلى مكان قريب عرف بهاشمية الكوفة سنة 132هـ، ثم إلى مدينة الحيرة، ثم إلى الأنبار شمالي العراق سنة 134هـ/751م، وبنى بجوارها مدينة عرفت بهاشمية الأنبار، أقام بها حتى وفاته 136هـ/754م.

الولاة

- أبا جعفر المنصور على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان.
- داود بن علي على الحجاز واليمن واليمامة.
- عبد الله بن علي على بلاد الشام.
- سليمان بن علي على البصرة وتوابعها البحرين وعمان.
- إسماعيل بن علي على كور الأهواز.
- أبا مسلم الخراساني على خراسان.
- أبا العون على مصر وشمال إفريقية.

الوزارة والدواوين

نظام الوزارة لم يُعرف بوضوح في تلك الأثناء، بل شهدنا إرهاصات لها. وعُيّن خالد بن برمك على ديوان الخراج وديوان الجند، فأدخل نظام الدفاتر وجعل سجلاتها في دفاتر بعد أن كانت في صحف متفرقة.

رابعاً: ولاية العهد ووفاة السفاح

عهد السفاح في 136هـ/754م بالخلافة لأخيه أبي جعفر المنصور ثم لعيسى بن موسى بن محمد، وكتب العهد بذلك وختمه بختمه وخواتيم أهل بيته. وهنا ارتكب نفس الخطأ الذي ارتكبه الأمويون، وسوف يسبب هذا الأمر هزة قوية للدولة العباسية وهي في أول بداياتها.

أصيب السفاح بالجدري وهو في الأنبار، وتوفي في 13 ذي الحجة 136هـ/حزيران 754م، وكان عمره 33 سنة وقيل 36. ودُفن في قصره بالأنبار.

المحاضرة الرابعة

الخلافة في عهد أبي جعفر المنصور

أولاً: التعريف بأبي جعفر المنصور

- هو عبد الله بن محمد بن علي العباسي، أبو جعفر المنصور، ولد بالحميمة في سنة 95هـ.
- نشأ أديباً فصيحاً.
- انتقل مع أخيه إلى الكوفة، وكان ساعده الأيمن في تدبير الخلافة.
- تخلص من ابن هبيرة.
- ولاّه إقليم الجزيرة وأرمينيا وأذربيجان.
- عُهد له بالخلافة 136هـ. لما توفي السفاح كان في الحجاز أميراً على الحج، فأخذ له البيعة عيسى بن موسى في الأنبار. حكم 22 سنة.

ثانياً: الأوضاع الداخلية

بويع المنصور بالخلافة والدولة لا تزال مضطربة، فواجهته عدة فتن داخلية، استطاع بدهائه ومكره التخلص منها، فقد عمد إلى ضرب أعدائه بعضهم ببعض حتى خلت له الساحة.

فتنة عبد الله بن علي

بدأ المنصور بعمه عبد الله بن علي، الذي خرج عليه بحلب وادعى أن العباس جعل له ولاية العهد. فبايعه أغلب جنده وراح يزحف نحو الجزيرة، فانتدب له المنصور أبا مسلم لقتاله. ودارت الحرب بين الطرفين مدة 5 أشهر (136-137هـ) تمكن خلالها أبو مسلم من التغلب على عبد الله في معركة فاصلة قرب نصبين. ففر عبد الله منهزماً إلى البصرة والتجأ إلى أخيه سليمان وظل متوارياً عنده إلى أن قبض عليه المنصور وسجنه سنة 139هـ/757م، ثم تخلص منه سنة 147هـ/761م.

التخلص من أبو مسلم الخراساني

كان أبو جعفر شديد الحساسية من طموحات أبا مسلم منذ خلافة أخيه السفاح. ولما مات هذا الأخير تباطأ الخراساني في مبايعة المنصور، مما أدخل الشك في قلب الخليفة وقرر التخلص منه ولو بعد حين.

انتهج المنصور أسلوباً سياسياً بارعاً؛ لطّف الأجواء معه، ثم أبعده عن خراسان منطقة نفوذه بانتدابه لقتال عمه في الجزيرة، ليكون قريباً منه فيسهل مراقبته.

وحينما انتصر على عمه، أراد المنصور أن يشعره بأنه مجرد تابع، فأرسل إليه رسولاً ليحصي الغنائم. فاستشاط أبو مسلم غضباً وقال: "أمين على الدماء، خائن في الأموال".

وفي خطوة أخرى لعزله، كتب إليه الخليفة يوليه بلاد الشام ومصر، ولكن أبا مسلم الداهية تفطّن للأمر وقرر العودة إلى خراسان ضارباً بأوامر الخليفة عرض الحائط. فتحرك الخليفة وبعث الجيوش لتقطع عنه طريق العودة، ونجح في استدراجه حتى مثل لديه فحاكمه، ثم قتله بسيفه في 05 شعبان 137هـ/ 755م.

الحركات الخراسانية (المبيضة)

مباشرة بعد مقتل أبو مسلم ظهرت في خراسان حركات دينية سياسية قومية غريبة، كان أصحابها يظهرون الإسلام ويبطنون المجوسية. وشكلت حركة سنباذ أول رد فعل لمقتل الزعيم الفارسي، حيث سيطر على نيسابور وقومس والري، ولكن الخليفة قضى على هذه الحركة في 137هـ/755م بعد 70 يوماً من بروزها. كما ظهرت حركات أخرى اتخذت من اللون الأبيض شعاراً لها وسُميت بـ"المبيضة"، منها: حركة الراوندية سنة 141هـ/758م، وحركة أستاذ سيس سنة 150هـ/767م.

الحركات العلوية

كان محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بـ"النفس الزكية" وأخوه إبراهيم أول الخارجين على الخليفة. رفضا مبايعة أبو جعفر المنصور واختفيا في الحجاز، فلما أحس محمد بقوته أعلن دعوته بالمدينة المنورة سنة 145هـ/762م وتلقب بأمير المؤمنين، في حين ذهب أخوه إلى البصرة.

قام المنصور بمناورته السياسية، دعاهم إلى حل الخلاف سلمياً، وفي نفس الوقت اتخذ تدابير صارمة لعزل الحجاز. ووجه جيشاً فقُتل محمد النفس الزكية في 12 رمضان 145هـ. أما أخوه إبراهيم فكان يسيطر على البصرة ومعه فرقة الزيدية والمعتزلة وبقايا الأمويين، فقضى عليه المنصور في ذي القعدة 145هـ/ 763م.

ثالثاً: بناء مدينة بغداد

ظل العباسيون طيلة 13 عاماً منذ وصولهم إلى الحكم دون عاصمة فعلية لدولتهم. فالكوفة تغلب عليها الشيعة، والأنبار لم تكن ملائمة، ودمشق لا يلاءمها موقعها النائي نحو الغرب لدولة تمتد من البحر المتوسط إلى نهر السند. فتم اختيار العراق لتقام فيها العاصمة الجديدة لأنه يمثل حلقة وصل بين الشرق حيث العنصر الفارسي والغرب حيث العنصر العربي.

المميزات العسكرية لموقع بغداد

- يمتاز موقع بغداد بحصانته العسكرية إذ لا يمكن الوصول إليه إلا على قنطرة أو جسر، حيث شكّل نهرا دجلة والفرات خندقاً طبيعياً.
- يمتاز موقعه ببعده عن الحدود البيزنطية ومن هنا بعيد عن غاراتهم.
- حظيت بسورين وخندق عرضه 6 أمتار مملوء بالماء.
- جُهّزت أبوابها الأربعة بدهاليز كبيرة تنحرف عن الأبواب الخارجية لتصعيب دخول الأعداء.
- بُنيت على شكل دائري لكي يكون قصر الخليفة على مسافات متساوية من المدينة.

المميزات الاقتصادية لموقع بغداد

- موقعها على وادي الرافدين في الضفة الغربية لنهر دجلة يجعلها همزة وصل بين بلاد الشام وبلاد فارس.
- أهمية اقتصادية كمركز تجاري لوقوعه على الطرق والممرات المائية والبرية المتصلة ببقية ولايات الدولة.
- المنطقة كانت مزدهرة زراعياً.
- مناخها قليل الرطوبة مما يجعلها أفضل من المدن الساحلية.

شرع المنصور في بناء عاصمته في 145هـ/762م واستخدم أعداداً كبيرة من العمال والاختصاصيين، واستغرق بناؤها أربع سنوات إلى سنة 149هـ/766م. وسماها المنصور "مدينة السلام". وبنى في سنة 151هـ/768م مدينة الرصافة أو بغداد الشرقية لابنه المهدي.

رابعاً: الأوضاع الخارجية

اتسمت الحروب بين المسلمين والبيزنطيين في عهد أبي جعفر بالمهادنة إذ لم تتعد المناوشات الحدودية، وذلك لاهتمام المنصور بإخماد الفتن الداخلية. اتبع المنصور سياسة حكيمة لإيقاف الهجمات البيزنطية عن طريق إعادة ترميم وتحصين الثغور، وتنظيم وسائل الدفاع، فحصّن مناطق الثغور ومنحها حكماً إدارياً شبه مستقل، وحشد فيها آلاف المقاتلين والمرابطين ومنحهم الإقطاعيات والمزارع.

خامساً: ولاية العهد ووفاة المنصور

ظل الخليفة يفكر في خلع ابن أخيه عيسى بن موسى من ولاية العهد، فاستعمل معه وسائل الترغيب والترهيب ومارس عليه الضغوطات حتى خلع نفسه وبايع المهدي ابن المنصور سنة 147هـ/764م.

توفي أبو جعفر المنصور يوم السبت 6 ذي الحجة 158هـ/ 775م، وكان يشكو من عسر الهضم وذلك في طريقه لأداء فريضة الحج بالقرب من بئر ميمون على بعد 6 أيام من مكة، فغُسل ودُفن هناك.